سريـــر الأغلبية الصامتة المريح

خالد مطلك

الصراع الدائر في العراق ليس هو في الواقع صراعاً بين الإرهابيين والحكومة المؤقتة، إنه صراع بين العراقيين وأعدائهم، بين شعب يحلم بالحرية والديمقراطية وقوى الظلام الملثمة وعليه لا يجوز الجلوس على المصاطب بانتظار من يربح الجولة.

يجب أن يتحرك الناس لتجفيف المياه الآسنة التي تسبح فيها الأسماك السامة عبر عزلها عن البحر الاجتماعي الذي تنهل منه.

كل شخص هو مسؤول، محاربة الإرهـــاب واجب الجميع، وإلا سيختطف الجميع في غفلة كما اختطفوا أربعين عاماً من قبل، علينا جميعاً أن نقف في الخط الأمامي لمواجهة الظلام الذي يحاول أن يلف نهار وطننا من جديد.

وما يسمى بالأغلبية الصامتة فهي صامتة عن التحزب والتكتل بانتظار أن يطرح الآخرون برامجهم السياسية ولكن هذا الصمت يصبح مصيبة عندما يكون بإزاء الجريمة، مصطلح الأغلبية الصامتة ليس سريراً يرتاح عليه العامة لممارسة الصمت عن الإرهابين بدعوى إن الحكومة هي المعنية بالأمر فإن المجرمين ليست غايتهم تغيير الحكومة عبر طرح برنامج وطني بديل وإنما اقتراح عراق آخر تعمه الفوضى والقتل المجاني والحكم بولاية أمير المجاهدين أبو مصعب الزرقاوي الذي يذبح البشر بدم بارد.

علينا ألا ندع المجرمين يتحدثون باسم مدننا ويفرضون قوانينهم باسم الإسلام فيها، فالإسلام ليس حكراً على إبائهم. أمهاتنا وأباؤنا مسلمون بطريقة أقرب إلى روح ديننا الحنيف من أولئك الملثمين الذين باسم مقارعة الاحتلال يقتلون ببشاعة أبناءنا الواقفين في طابور التطوع في الجيش والشرطة الوطنية ويمنعون مهندسي المياه والكهرباء وموظفي الخدمات العامة من مباشرة وظائفهم.

إنهم يحرقون ثروتنا ويلوثون سماءنا ويدمرون بناءنا ويخربون شوارعنا ولا ندري أي إسلام هذا الذي أحل لهم دماءنا.

أطردوهم من مدننا وقرانا وشوارعنا قبل أن تضيع مدننا وقرانا وشوارعنا.

موفق محمد:

الشـــاعـــر العـــراقـــي لا يحســـده أحـــد

خمسون عاماً، والشاعر موفق محمد، يقلب الجمر المتوقد بين يديه، ينقله من راحة إلى أخرى، ثم يطبع كفيه على الورق، هكذا كانت قصائده تأتي في اللحظة التي تضع الجمر على الراحة الأخرى وتطبعها على الورق ثم تتلقفها ثانية.

حوار / صلاح عباس

كان الشاعر يخاف من نفسه عند كتابة القصيدة، بل يتلصص عليها أحياناً، فكيف لا تهرب إلى أقرب مديرية للأمن للتخلص منه؟ وعن معنى الشعر قال:

- لا يمكن تعريف الشعر ضمن قوالب معينة، الشعر شبيه بعيون الماء، كل عين لها طعمها وحرارتها، فإذا وضعنا الشعراء جميعاً في قالب واحد، فإننا سنجهز على الشعر والشعراء، لأن الشعر مثل الغناء، يختلف كما تختلف الحناجر في ادائها ، والشاعر مهما كبر فانه يقترب من طفولته، ومن فطريته الجديدة، المشبعة بالتجارب والثقافات المختلفة، فمتى استطاع الشاعر أن يرشح كل تجاربه ضمن هذه الفطرية الجديدة فتأتي قصيدته شبيهةً بالمولود الجديد، لأن القصائد كائنات حية، تأخذ حقها الكامل في الطفولة والشباب، لكنها لا تشيخ أبداً، انظر إلى امرئ القيس في مطلع قصيدته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

للوهلة الأولى، يبدو البيت مباشراً، لكنك عندما تعيد النظر إليه، تجد فيه طبقات خفية تشير إلى تجذر الإنسان في المكان والزمان، وحب كبير يكاد يكون الشاعر ملتصقاً بأرضه، بجذوره، التي تمده بالنسغ الحي ليعطي أجمل الثمار.

❖ *ما مفهومك للحداثة في الشعر؟*

- لكل زمن حداثته، وهذا سر بقاء الكثير من النصوص الشعرية العربية القديمة، ولكنها تسبق العصور، والسؤال الأهم:

من أين تأتي الحداثة في القصيدة؟

إن الخطأ القاتل الذي وقع فيه الشعراء العرب، هو، تصورهم ان الحداثة تأتي من الآخر، من الغرب المتفوق والمتقدم وهذه عقدة نقص، فالحداثة تأتي من الداخل، من بيئة الشاعر ومحيطه. صحيح أن المادة هي نفسها، لكن كيف يستطيع الشاعر أن يحول النخلة إلى قمر يتدلى من السماء، والنهر الذي يجري في مدينته إلى مجموعة من الطيور التي تخوض اجنحتها داخل أمواجه وتطير محلقة في سماء مدينته؟ وكلما التصق الشاعر بواقعه، وبناسه، جاءت إليه الحداثة أصيلة، وليست هجينة، بل هي إضفاء صور جديدة ترتقي به إلى المسار الصحيح الذي يطمح إليه الشاعر، والشاعر لا يملك عصا سحرية، كما أنه مكتظ بالمتناقضات. والقيود التي تثقله، فهو يحاول جاهداً أن يرى السماء ولو مرة واحدة في اليوم. هذه الرؤية ستجعل منجزه الإبداعي جديداً دائما.

❖ *في بعض الأحيان، تكون القصائد، أو بعض من الأبيات الشعرية مثل المجوهرات تنتشر على صدر الزمن فما باعتقادكم سر خلودها؟*

- الشاعر، عين بصيرة وعقل سديد على الرغم من سباحته الدائمة في تيار اللا وعي، لكنه يبقى رياً يمتلك مجساته التي تسبر بها الأغوار فعندما، يمسك بقوة في الحلم الذي يتهافت في رأسه، يستطيع التعبير عنه كشكل بصورة أخاذة، تبقي على سحرها وألقها الخاصين، على الرغم من مرور المئات من السنين عليها. إن القصيدة، نجم خفاق يتجدد ضوؤه "ما بقي النيران" وقد سألتني قبل قليل عن الحداثة، أين نضع بيت الشريف الرضي عندما يقول:

فتلفتت عيني فمذ خفيت عنه، تلفت القلب

أو قول شاعر عباسي:

بأبي غزلاً غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطي بارق

حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانقي

ابعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافقي

فأية رقة، واية أحلام، وكأن شاعرها سبقنا حتى في الحب، والذي هو أسمى العواطف الإنسانية، إنه يعلمنا كيف نمتلك رقة إزاء الحبيب كرقته، وقد قلب المعادلة، فهو يخاف أن ينيمه على أضلاعه التي تشتاقه، لأن قلبه ينبض بحبه، أن يمتلك الشاعر شفافية كهذه فهو بالتأكيد يستطيع أن ينجز لنا قلائد تبقى متوهجة، ويعطي الكثير، فالشعر دفق دائم، لكنك كيف تستطيع أن تلم هذا الدفق في لغة حية، ومعبرة، تلك هي المشكلة.

ولو رجعنا إلى مختارات اودونيس "ديوان الشعر العربي" أو حماسة أبو تمام، وقرأنا فيها قصائد لمئات من الشعراء، نجد أن ثمة سحراً خاصاً في القصائد التي شبهتها بالجواهر، فمتى أستطاع الشاعر المعاصر أن يمسك بهذا السحر، ويسربه مع ثقافة عصره إلى نصوصه التي ستمتلك حتماً مثل هذا السحر.

❖ *ما الأغراض الشعرية الأكثر إغراءً لك؟*

- القصيدة المعاصرة الآن، تجمع كل الأغراض الشعرية بما فيها المديح والهجاء أيضاً، لكنها تنحو بكل هذه الأغراض منحاً مختلفاً عن السابق، لأن القصيدة المعاصرة لها روافد متعددة، وعليها أن تصل إلى أصناف مختلفة من الناس، فكيف تستطيع الإمساك بتلابيب المتلقي، وتهزه هزاً عنيفاً لكي ينقض على واقعه الدامي، الذي اختصر كل الأساطير وغرائبية هذا العالم، أن تنفض الغبار عن الوردة وأن تطرزها بالندى، صحيح أن رفع وردة بوجه كل السيوف المشهرة حولك لا يجدي نفعاً، لكن خلق حالة جمالية، تتجدد، وتعيد الإنسان ولو قليلاً إلى آدميته، ليعرف النبع الإنساني المتدفق في أخيه الإنسان، لكن الشاعر لا يعرف كيف يتعامل مع الوحوش؟ فهذه مهمة خطيرة وهم كبير يضاف إلى هموم الشاعر العراقي، واعتقد أن الشاعر العراقي لا يحسده أحد طالما بقي سائراً في حقول الألغام، فما هو الذنب الذي وقع على كاهل الشاعر العراقي في أن يرى هذا الخراب المتدفق والمتجدد ظلماً وضيماً؟

لم نسترح أبداً، فلو أنزلنا هذا الضيم على قارة لأناخت به وماتت كمداً!

واعتقد أن وصف ما بعد جهنم نعيشها هنا، في العراق ونحن بأمس الحاجة إلى أبجدية أخرى، لأن الأحرف العربية على وفق أبجديتها وهجائيتها لا تستطيع أن تحمل مثل الذي جرى بنا، وأن لغتنا أحدودبت، وقصم ظهرها من هول المدافع والراجمات والبلاوي السود، والسيارات المفخخة والذئاب المسعورة، التي تمد نيوبها في أجسادنا، فأي شاعر في العالم يستطيع أن يكتب قصيدة بناب الذئب الذي يشرب من دمه؟ ولأن القصيدة دامية، أرى بياضها المتبقي أكثر نصوعاً وأكثر جمالاً.

إننا ننزف دماءنا على الورق، ونشربه ثانية، وهذا يتكرر في كل هنيهة. فالواقع الذي نعيشه، يكتب لنا قصائد لا تستطيع أية مخيلة في العالم أن تكتب مثلها، مثلاً، سرب من القلوب المؤمنة، الطاهرة، في مسجد أو كنيسة تناجي الخالق، فكيف تتحول هذه القلوب إلى رماد؟ ماذا نكتب؟

أحياناً نكفر بالثقافة وبالكتاب، ولكنه قدرنا الذي لا نستطيع منه فكاكاً، أن تكون شاعراً في العراق الآن، فذلك شيء مخيف حقاً.

❖ *هل وضعت ضمن مشروعك الإبداعي، شكلاً لقصيدة طويلة تروي سفر العراق على مدى حقبه التاريخية المتأسية يكون كمثل الأليادة أو الأوديسة أو كلكامش؟*

- أنا أريد أن اتخلص من الشعر، أن أكتب قصيدة تستوعب كل هذا الألم، الذي يجيء إلي كما تجيء الذئاب، أريد أن القي بنفسي في زهرة بيضاء، فلقد تعبت كثيراً، وخبزت الحزن أشكالاً، أن أكون التنور والخباز في وقت واحد فتلك هي المصيبة، أردت لنفسي قصيدة تحمل أصواتاً متعددة، يمكن أن تكون نصاً شعرياً للمسرح، لكنني، وإزاء هذه السورة المرعبة والهائلة، لا استطيع الإمساك بالشخوص، فتأتي القصيدة، عبارة عن حمم بركانية، متدفقة، وهائلة، وعلى القارئ أن يلم جمراتها براحتيه المكتويتين بقصائدي، وأحياناً، أحس وكأنني اكتب بالشفرة على جسد المتلقي، فاعطف عليه وأهرب منه قبل أن يهرب مني.وعند قراءتي القصيدة، أراقب الجمهور الكبير، وارى عيونهم وهي تتلقف القصائد، كسرب طيور عالجته البنادق تواً. وكأن فسيل اجنحتها يتساقط فوق رؤوس المتلقين، احس بأنني أضيف هموماً مضاعفة لهموم المتلقي، والقصد من كل هذا: هو طموحنا الى أن نجعل المتلقي نبياً، وليس هذا هو وظيفة الشعر طبعاً، وهذا الأمر خاص بالإله، والقصد من هذا هو أن نكون جميعاً آذاناً عن الآخرين، هذا ما نطلبه الآن، ولو أن أحداً جمع كل الملاحم والقصائد التي قالها الإنسان منذ حروفه الأولى، التي خطها على جدران الكهوف، وحتى زمننا الراهن، فهل تستطيع تلك القصائد أن تغسل الأيدي التي قتلت قاسم عبد الأمير عجام وكوكبة من العلماء والمبدعين العراقيين؟

أحياناً، نحمل الشعر بأكثر من طاقته، فهل يعقل أن تاريخاً مكتظاً بالإبداع، الجواهري، وجواد سليم، وفائق حسن والسياب، والمدفعي، والوتري وآخرين، يخرج من معطفهم هذا الجيش الهائل من القتلة واللصوص !! فعلينا ان نعيد النظر بدور المبدع، بعيداً عن الأيديولوجيات التي ظلمته كثيراً، وأثقلته بأورام غريبة على جسده وعلى نصه أيضاً.

❖ *في مذكراته ويومياته، يعترف بابلو نيرودا بحياته وأنه عاشها كما ينبغي فهل يعترف موفق محمد بحياته؟*

- إنني لم أعش أبداً، لكن الذي يبرر حياتي أو اعتبره ثروتي الكبيرة، هو قصائدي التي رفعتها بوجه الطغيان على مدى هذه السنوات الطوال هي لم توقف طغيانهم، وربما تزيدهم طغياناً، لكنها تقض مضجعهم، وتعجل في وقف هذا الطغيان يقول الجواهري:

- سألت الصبر كيف حملت عندي؟

فقال:

- بما تصبرني جملت.

قصة قصيرة

فـــضـــاءٌ كلـه دم

محمد الأحمد

سبق ان وقفتُ منتصباً عند حافة حادة، من ظهيرة شديدة الإشراق، وانا أرنو إليها مبتسماً، و ملوحاً بزهرة قلبي كي تتفيأ من قسوة شمس تموز الكاسرة، يومها بقيت مخترقاً كل تلك الاشعة العمودية الحاقدة، ببصري كل تلك المسافة، البعيدة القريبة، و لم اك قد رأيتُ روعة عينيها الناعستين، ضمة شفتيها الكرزيتين او بداعة خصرها الأهيف، بعد؛ حتى اعشقها العشق الذي يفوق معاني الشعر وموسيقاه، والذي تضرب به الأمثال.

لاجل أن أقول قولتي الأولى؛ كان عليّ ان اتجاوز حروفي المضطربة، تلك التي كانت حروفا مكبوسة، مشحونة، مملوءة، كلها رغبة محققة في جبروتها، وجاذبيتها.. بقيت تحمل اكثر من حجمها، كانت تشبه كلمة نظمت في جزء يسير من قصيدة شاعر مجيد، ولا يمكن ترجمتها على الاطلاق..

(قلتِ اسمك: - إيناس؟

أكدتِ بهزة رأس مطوق بشعر ذهبي، لم تحرقه الشمس.

بقيت القصة تدور في ذهني، وكأنها الآن تحدث..

ساعتها سمعت صوت الرافعة الكهربائية تهدر مزمجرة بعنف شديد

- انتبه كدت تقتل؟

قال ذلك أحدهم، ومضى..

ولكنني بقيت معها، وهي تشع علي بردا وسلاما)..

كان علي ان اعيد القصة بمثلما حدثت، بوقعها الرتيب المعهود، ولكن الشهقة هي التي تتوالى بي الى انحدار حاد، لتجعلني اقصها بشكل غير مترابط، فالبكاء يستنزفني، ويجعلني إرى صورتها في لمعة الدمعة التي بقيت تسح على خدي؛ هكذا يتفطر القلب، وهكذا بدت القصة أول الأمر:- رأيتها كفنار عال، ورحت اتابعها كما عصفور جائع يتابع فراشته في حقل مفتوح، ولم اكن اعلم بانها ستكون حاضرة في كل صحوي ومنامي؛ ويل من القامة الممشوقة، وهي تشق عنان المدى، متهادية في زحمة الضوء الباهر.. كأنها تسبح في بحر مظلم، مضيئة، و هي التي جعلتني أتلظى في التحديق المتأمل، المتمعن، أتابع تحولات التاريخ الأنثوي، وفعله العظيم في مسار الرجولة، يتماوج كبحر صاخب، لا يستكين. أحسست أنني بدأت اشعر بوطأة ظلم شديد عليّ، وفي الوقت ذاته، أحسست بانني أحقق إنصافاً لذلك الحرمان المرّ، هو أني تركت العمر يجري منسابا كماء النهر إلى مجراه من دون أن يرويني، فالماء مائي، وتكويني، وبقيت عطشا، أحسست بتسرب هائل من كينونتي، وآثرت أن اعبر إليها على الرغم من الزحام، والحوادث الجسام. وحتى اقتربت منها بدت اكثر جمالاً واكثر روعة واكثر بهاء.. صافحتها بتوق وحاولت ان ابقي يديها بين اصابعي مدى ما استطعت، وانظر اليها مدى ما سمح به الظرف من الوقت النزير. تمنيت لها مستقبلا زاهراً في عملها، ذلك كله كان فيما مضى.. اول لقاء بها. حروف مضطربة، ولكنها كانت حروفا مشحونة، ومملوءة.

❖❖❖

(الاخبار في التلفاز اكثر سرعة ودوياً، وتتناقض متضاربة.. كأنها تتذابح)

❖❖❖

ذات مرة دخل احد الوشاة مخترعاً لها، عني، قصة غريبة من بعد ان عرفها (بانه شقيق طليقتي، وانني سوف العب معها كما لعبت مع اخته، وانني سوف اتزوجها بدينار، ولن اطلقها الا بعشرة، من بعد مر العذاب)، ولم تنجح وشايته المغرضة، الا لاسبوع واحد او اثنين، فصار عذله وصالا قويا، فيما بيننا، و رابطاً حتى النهاية... برغم انه كاد يقتلني بها، لاني المتيم، اذ حمل لها بعض الصور التي كنت اظهر فيها مع شقيقته، كإثبات، يوم كان القلب في ربيعه، ويوم كان الحب يقرب بيني وبينها.. ولكنها عبرت المحنة بمصارحتي بكل من جاء، وبمن حضر مريدا للخراب، والجفاء، فتزوجنا متحدين على الزمان كله، وحكيت لها ما لم احك لاحد.. عن امرأة سبقتها، وعن ظرف قاس كان يحيط بنا، ورحت احكي بمهارة العارف، ولم احرر لها اكاذيب تكرهها الأنثى، بقيت صادقا متواصلاً. وهي تصغي الى القلب الذي حوط لها صورتها، والى الأذن التي وَلَهَتْ بنغمتها.. كانت معي في الخطوات الواثقة نحو آمالنا الكبار، من بعد ان حملت لي أجمل ما يمكن ان تحمله المرأة. ورحنا معاً نعد أنفسنا الى مستقبل يتسع المدى..

❖❖❖

عمال وشرطة ذاهبون، وغيرهم كانوا عائدين، خطوط متقاطعة من الخطوات المتواترة، والطرق المتواصلة، ينز منهم العرق غزيرا، وقد أيبسته الشمس على أجسادهم، و أيديهم لم تك فارغة، وسيارات الاطفاء تغسل الشارع، من اثر الدمار البغي. الصفير قد اهمل حاسة السمع، بقي الصوت الخائف المرتجف مبلولا بالصمت، ويومها في مكان آخر من يوم ما كان العمل يجري، هناك، من دون توقف. سرت الهمهمة في موقع العمل، آلة خلط مادة (السمنت) وقفت بيني وبينك وقطعت خط البصر الذي كان يتواصل بالمدّ. بل كادت تضع المزيج فوق رأسي. بنطلون جينز اظهر تفاصيل تعرجات انثوية، تحرك الغرائز، كانت ترتدي قميصاً للعمل من الستان كأنه مبتهج في عز الحر، وتحوطني مجموعة عمال عهدتهم حراسا سوف يدافعون عن كوكبة أميرتهم بضراوة، قبل أن يكشفوا نية المقترب، وهو يشق الزحام نحو الموكب الملكي، كأني رأيتهم صوبوا السهام نحوي، وأنا اشق عباب الغبار.

❖❖❖

(الاخبار في التلفاز اكثر سرعة ودوياً، وتتناقض متضاربة.. كأنها تتذابح)

❖❖❖

كنت احدثها عن كل ما يؤلمني، وما ندمت، قلت لها وصدقتني نحن جيل الخيبة سنواته العشر الاولى قُضيت في رعب من اعتقال لاشتباه سياسي، والعشر الثانية اشتعلت ما بين التحاق الى الموت من الموت.. حرب ضروس ساقتنا اليها سياط لا ترحم، والعشر الثالثة تهرأت جوعا وكدحا من اجل لقمة كريمة.. اغلب اقراني هاجروا من دون عودة. كانت تسمعني وتحوي المي، تحنو على جراحي. عينان كأنهما بلون كل الالوان بهجة، وقد خبأتهما من سطوة الشمس المريرة، خلف زجاج معتم، ولكني شممتُ عطر أنوثة تهوس اعتى الرجال، أيقظت في الرجولة المختبئة خلف أقنعة الزمان، وتعبه. بقيت أتساءل حول الناس الابرياء؛ ما ذنبهم، اقدرهم ان يبقوا مروعين يخافون كل لحظة ان تنفجر من تحتهم الارض، ومن فوقهم السماء، ويشتعل بهم الهواء، وتتناثر النتف متباعدة من دون دفن، ولا تقبلها حتى ثلاجة الموتى من بعد ان ضاعت الاعضاء عن اصحابها؛ اذ جمعت من على سطوح المنازل التي جاورت مراكز الحوادث، وجعلت نفوس النسوة كسيرات يندبن حظهن بما تبقي من اسيجة وما تهشم من زجاج كان يسترهن.

ولكنها اليوم قد تركت القلم الهندسي، ومنضدتها المائلة، وفرجالها، وورق الخرائط الفضفاضة.. تركت عالما مستقرا، لتعمل في مهنة اخرى لا تشبه المهن الا انها تسمى مهنة المتاعب، وابدلت بقية اشيائها بكاميرا ومكرفون وبقيت تطارد المخاطر حيث تكون، وذلك اصبح مناها، وما بيدي من امر قد سقط. بقيت احقق لها ما ارادت لتلحق بشقيقها، ولم تكن تدري ان النهايات متشابهة، فلم اقل لها ماذا تجنين من كل ذلك التحول، بل اصبحت اسيراً لها، وما من مكان تصل اليه حتى اكون قربها، لتنقل الحدث بعد وقوعه، صار منبرها جلي الأشراق، فتاناً بها.. تمسك الكلمة لتخرجها موسيقى هائلة الوقع، صوتها العذب جعلها نجمة الاخبار، مجازفة، تنقل كل الوقائع، يعبرها الرصاص، وتعبر الموت..

(قالوا انهم من بضعة رجال بقوا احياء وشهود عيان.. الحدث قد صار عصرا. كانت حرارة الارض من شمس تموز تفور وتضرب بالانوف ثم تحرمها التمتع بحرية التنفس. بقي الوقت حتى قدم بضعة رجال مسلحين متنكرين في كوفيات عراقية، واضرموا النار في شاحنة كانت تنقل العوارض الكونكريتية التي تستخدم في حماية الابنية الحكومية من السيارات المفخخة، ومن السوء ان تجمع حولها الناس الابرياء، بعضهم تسلم مبالغ ليهتف، خاصة بعضهم العاطل عن العمل.. يهتفون، هتافات بدت ناقصة تكملها الاذن التي سمعتها في السابق، هتافات بليدة تشبه سخرية من يعلن نفسه، وتزايدت حولهم الناس.. من بعد ان غطى الدخان الكثيف مسارات الناس وزاحمها في كل شيء. ولما حضرت الشرطة بكثافتها المعهودة الى المكان الذي حرقت فيه الشاحنة.. تبين انه كان فخا خبيثا بعدما دخلت بينهم سيارة، كان صاحبها مقيد اليدين الى دفة القيادة، وكان صوت قارئ القرآن.. ينبعث عالياً من مسجلته.. توغل الى العمق بمنتهى السهولة من دون ان يثير استغراب احد، وقال شهود العيان ان صحفية مع القتلى كانت تجري لقاء مع بعض شهود العيان حول الشاحنة التي حرقها المجهولون)...

❖❖❖

(الاخبار في التلفاز اكثر سرعة ودوياً، وتتناقض متضاربة.. كأنها تتذابح)

❖❖❖

تطل من شاشة الالوان بالوان اكثر زهوا، وكأنها تحكي لي احلى حكاياها، و اراها وحدي بكل جبروت انوثتها الطاغية، واعترف لها باني مستسلم لها وحدها كما يستسلم خاشع على سجادته.. تلك التي تمنحني سعادتي القصوى، يوم عرفتها كان العمل يسير حثيثا، و الوقت ضيقاً، والآلات تهدر بعنف.. تهز الأرض من تحت الأقدام الماشية منطلقة إلى هدفها، تتقاطع الطرق، وتسير بالأيدي التي تحمل أسلاك الفولاذ، ليصبح قالبا يصب عليه الإسمنت، ويكون قالبا ينهض عليه البناء الشامخ لمحطة الكهرباء المنشأة في فضاء مفتوح لم تطمر نياسمه رمال الصحراء، حيث بقيت الأصوات تفور، العتلة الصغيرة تشبه الذراع، تتحرك جيئة، وذهابا في داخل أخدود من ماكينة أخرى، وتحدث تفاعلا رهيبا، كأنه فعل لذة غامضة. (بضع ايدٍ او ارجل متناثرة هنا او هناك، امخاخ واحشاء تتطاير، وانصاف عارية معصوفة، بقيت معلقة على الاشجار، وحيطان بقيت محفرة بشظايا لعينة، حاقدة. تلك الجثث مازالت حقيقية طازجة ببراءتها، كما لو علقها القصابون من بضاعتهم)..

كنت اراقب المدى وهو يتقلص في اسيجة واعمدة تتصاعد، خطوط صاعدة واخرى نازلة.. اعمدة مؤخراتها نازلة بانحدار، كانزلاق هاوية، واخرى صعدت بحدة. وكان النهار يصل الى نهار اقرب، والمحنة احسها اقرب من ان تنته. بقيتُ أتلهف مشطوراً، وفكري كله مصوب نحوك، وجسمي كان مستمرا في عمله.. مترددا في اقتناص فرصة الاقتراب إليك، والتحدث.. رأيت ان اعرف اسمك قبل أن تصلي ألي أو أنا اصل إليك، كنت ناعسة المشية، ناعمة الهديل، طاغية الأنوثة.. تسيرين واثقةُ الخطوة، حازمةُ التقدم، فأحسست احتراقا في الجوى، واضطرابا عاتيا قد عصف بأحشائي فصارت تريدك.. مهما كلف الثمن. فلم اقترب عمدا ولكني أصبحت حرا الى درجة غبتُ عن المكان، بأجنحة ملائكية. (نزل الدم من السماء كزخة قوية.. غطت واجهتي بلون احمر قان.. ونزلت ايضا الاصابع وبعض الايدي الكاملة، والارجل المشعرة، ومصارين، وامتلأت الارض بحريق ينفث موتا آخر)...

لكن لفتة من عينيك هي التي أنقذتني من الموقف القاتم، فأصبحت منقذتي، و أصبحت مدينا لك بحياتي، يومها، آنذاك، كأن رافعات الصناديق الخشبية، هي الأخرى تهر هريرا متواصلا، ولم اكن منتبها على الرغم من كل ذاك. الجميع يذهب إلى غايته، وتسير الأماني مقيدة إلى أقاحيها الشذية، فقد كان العمل مستمرا يجري إلى تشييد عامر بالارتفاع، والحكاية التي ابتدأت أخذت من الوقت كله. كأنني على الرغم من الزحام كنت الوحيد الذي يعمل والوحيد الذي رأى، حدثتها ما استطعت تحديا لاية حكاية اخرى ستخترع لها، لأني كنت موقنا، بان شقيق طليقتي، قد اخذ يفقد توازنه، وربما لن يتوانى بيأسه على فعل اي شيء خطير..(- اسمها الذي اختارته لي من بين الأسماء أيضا يطابق اسمك، ففتحت عينيها باستغراب والابتسامة أيضا كانت ذهبية تتلامع في ظهيرة العمل المتواصلة، وقصصت عليها قصتي مع امرأة قضت معي سنوات طوالاً غير مثمرة ثم ودعتني بخيانة لا تصدق ابدا)..

❖❖❖ ❖❖❖

(الاخبار في التلفاز اكثر سرعة ودوياً، وتتناقض متضاربة.. كأنها تتذابح)

❖❖❖ ❖❖❖

بقيتُ أتلفت يمينا ويسارا وان أقول سأراك في وقت الغداء.. كأن مساً من سحر أخذني إلى عمق لا أدري به.. ظلت الآلات تهدر بعنف اكبر، وبلا توقف، وهمهمة العمال المحيطين بي تتصاعد مع قرقعة المجرف الكبير، الذي بقي (يكرف) من اكوام الحصى الصغيرة، وخرقات المعاول. الوجه الصافي بقي يلمع مثلما تلمع فضة الحقل. وثمة سحر آخر ويلي منه قد هد الأركان، واغرق السفن. (قالوا انها كانت بين شظايا الأجساد التي تناثرت على سطوح المنازل القريبة.. خصلة شقراء هنا، وثلمة اظفر مصبوغة.. وبضعة اصابع مضمخة بالحناء، ممتزجة بدم الجنين)..

١٦ / أيلول / ٢٠٠٤ / بعقوبة